

## الباب الثالث

### مفاهيم عامة

- فصل أول : ماذا يعني المال ؟
- فصل ثانٍ : ماذا يعني الفقر ؟
- فصل ثالث : ماذا يعني الغنى ؟
- فصل رابع : ماذا يعني الرزق ؟
- فصل خامس : ماذا يعني الميزان ؟
- فصل سادس : ما هي أنواع السلع والخدمات ؟



## الفصل الأول

### ماذا يعني المال؟

المال :

قال الفيروز آبادي : المال ما ملكته من كل شيء ، ج أموال . ومُلِتَ وتمالٌ ومِلتَ وتمولتَ واستملتَ : كثر مالك . (١) .

أي المال هو المملوك ، وهو ما ملكه الإنسان من كل شيء ، فما لم يملكه لا يعد مالا في اللغة ، كالشجر في الغابة ، والسماك في الماء .

وقال ابن منظور : المال معروف وهو ما ملكته من جميع الأشياء والجمع أموال (٢) .

أما الفقهاء فأكثروا الحديث عن المال وباختصار :

الحنفية : هو ما يميل إليه بالطبع ، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة (٣) .

المالكية : هو ما يقع عليه الملك ، ويستبدّ به المالك عن غيره إذا أخذ من وجهه (٤) .

---

(١) القاموس المحيط : ١٣٦٨ ، ط ٣ / مؤسسة الرسالة .

(٢) لسان العرب : ٦٣٤ / ١١ .

(٣) رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين : ٥٠٠ / ٤ .

(٤) الموافقات للشاطبي : ١٧ / ٢ .

الشافعية : هو ما له قيمة تباع وتلزم متلفه ، وإن قلت ، وما لا يطرحه الناس مثل الفلوس وما شابه ذلك<sup>(١)</sup> .

الحنابلة : هو ما يباح الانتفاع به مطلقاً ، أو اقتناؤه لغير حاجة أو ضرورة<sup>(٢)</sup> .

وهناك تقسيمات أخرى للمال - عند الفقهاء - من ذلك :

مال مقوم : وهو ما يباح الانتفاع به شرعاً ، وغير مقوم : ما لا يباح الانتفاع به شرعاً كالخمر وغيره .

مال مثالي : وهو ما تماثلت آحاده أو أجزاؤه ، بحيث يمكن أن يقوم بعضها مقام بعض دون فرق يعتد به كالسمن والزيت والقمح .

ومال قيمي : وهو ما تفاوتت أفرادها فلا يقوم بعضه مقام بعض بلا فرق كالشجر والدور ونحوها .

مال استهلاكي : ما يكون الانتفاع بخصائصه بحسب المعتاد لا يتحقق إلا باستهلاكها (أي ما يستهلك باستعماله لأول مرة كالأطعمة والأشربة) ومال استعمالي : وهو ما يستعمل مراراً كالعقارات ونحوه .

مال منقول : وهو ما ينقل ويحول من مكان لآخر (كالنقود ، وغير منقول : كالعقار)<sup>(٣)</sup> .

أما الكتاب المنزل الخالد فقد وردت فيه كلمة المال ومشتقاتها (٨٥) مرة بأساليب مختلفة وصور شتى ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ ﴾ [سبا : ٣٧] .

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي : ٣٢٧ .

(٢) الإقناع للمقدسي : ٥٩/٢ .

(٣) راجع ما كتبه عن ذلك تفصيلاً في كتابي : المسيرة التاريخية لتطبيق الزكاة .

وكقوله تعالى أيضاً :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن : ١٥] .

أما رسول الله صلوات الله عليه فقد تحدث عن المال كثيراً ، من ذلك قوله :

«إن لكل فتنة ، وفتنة أمتي المال»<sup>(١)</sup> .

وكقوله : «يا عمرو نعمًا المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(٢)</sup> .

وقوله : «ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء أبخلًا أخذ المال أم بحرام»<sup>(٣)</sup> .

وقوله : «يقول ابن آدم : مالي مالي ، قال ﷺ : وهل لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفئيت ، أو ما لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت»<sup>(٤)</sup> .

وهكذا تتابع الحديث عن المال شرحاً وتفصيلاً في سيرة وأقوال الصحابة الأكارم ، والتابعين ، والفقهاء ، والمحدثين .

ولو أخذنا مثلاً واحداً هو نهج البلاغة الذي جمعت فيه أقوال وخطب وقصار الحكم للإمام علي - كرم الله وجهه - لوجدنا كلمة المال قد وردت (١١٠) من المرات ، وفي مختلف الأشكال والمناسبات ، من ذلك قوله :

(ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يرثه غيره) : [الخطبة ٢٣-٧ و٩]

وقوله : (لو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) رواه البخاري .

(٤) رواه مسلم .

ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف) [الخطبة ١٢٦-٢٠]

وقوله أيضاً : (وما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه ، وتبقى عليه تبعته وحسابه) [الخطبة ١٥٧-٨]

وقوله : (ولكنني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولاً) [الكتاب ٥١-٥]

وقوله : (يا كميل : العلم خير من المال ، العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، وصنيع المال يزول بزواله . . والعلم حاكم والمال محكوم) [قصار الحكم ١٤٧-٣ و٤ و٥]

وقوله : (إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله) [قصار الحكم ٤٢٩]

(وإن أخسر الناس صفقة وأخيبهم سعيّاً رجل أخلق بدنه في طلب ماله!!) [قصار الحكم ٤٣٠]

وقوله : (وأقسم بالله رب العالمين ما يسرّني أن ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي) [الكتاب ٤١-١٣]

\* \* \*

## الفصل الثاني

### ماذا يعني الفقر؟

الفقر :

قال الفيروزآبادي : الفقر ضد الغنى ، وقدره أن يكون له ما يكفي عياله ، أو الفقير : من يجد القوت ، والمسكين : من لا شيء له أو الفقير : المحتاج ، والمسكين : من أذله الفقر أو غيره من الأحوال .

والشافعي : (الفقراء : الزمنى - الضعاف - الذين لا حرفة لهم ، وأهل الحرف الذين لا تقع حرفتهم من حاجتهم موقعاً ، والمسكين : السُّؤال ممن له حرفة تقع موقعاً ولا تغنيه وعياله)<sup>(١)</sup> .

وهكذا نجد البيان الإلهي يذكر الفقر (١٣) مرة وبأشكال متنوعة ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ... ﴾ [البقرة :

. [٢٦٨

وقوله ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْمَعْلُومِينَ عَلَيْهَا ﴾ [التوبة :

. [٦٠

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۗ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ ﴾

[محمد : ٣٨] .

---

(١) القاموس المحيط : ٥٨٨ .

وكذلك نجد السنة النبوية قد حذرت من أخطار الفقر و... فكان من ذلك قول سيدنا رسول الله ﷺ :

«اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعتُ في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»<sup>(١)</sup> .

وقوله : «أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»<sup>(٢)</sup> .

وقوله : «كاد الفقر يكون كفرةً ، وكاد الحسد يغلب القدر»<sup>(٣)</sup> .

وقوله : «من استخفَّ بفقيرٍ مسلمٍ فقد استخفَّ بحقَّ الله ، والله يستخفُّ به يوم القيامة إلا أن يتوب»<sup>(٣)</sup> .

كذلك راح الفقهاء والمحدثون والصحابة والتابعون يشرحون معنى الفقر ، محذرين من مضاره ، واضعين الحلول له ، وكان من ذلك ما تحدث به الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - مثل قوله :

« ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله . . وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله » [قصار الحكم ٤٠٦]

وقوله : « إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء ، فما جاع فقير إلا بما متع به غني » [قصار الحكم ٣٢٨]

ثم يصف خطورة الفقر وصفاً دقيقاً فيقول :

«الفقر الموت الأكبر» [قصار الحكم ١٦٣]

ثم يستعيذ بالله من الفقر ، مكرراً ذلك في مناسبات شتى ، وهو يقول :

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) رواه الطبراني والشهاب .

(٣) رواه ابن بابويه .

«اللهم إني أعوذ بك أن افقر في غناك» [خطبة ٢١٥-٤]

ويقول مخاطباً أحد أولاده :

«يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعد بالله منه ، فإن الفقر منقصة للدين ، مدهشة للعقل ، داعية للمقت!!» [قصار الحكم ٣١٩]

ثم يقول :

«ويؤسى لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون» [كتاب ٢٦-٥]

ولو تصفحنا نهج البلاغة لوجدنا أن الإمام تحدث عن الفقر (٤٥) مرة شارحاً مشاكله ومخاطره .

\* \* \*

## الفصل الثالث

### ماذا يعني الغنى

الغنى :

قال الفيروزآبادي : الغنى ، كإلى : التزويجُ ، وضد الفقر ، وإذا فتح مُدَّ ، غني غنيً واستغنى واغتنى وتغانى وتغنى ، واستغنى الله تعالى :

سأله أن يُغنيه ، وغناه الله تعالى وأغناه ، والاسم : الغُنية .

والغني : ذو الوفرة - أي المال الكثير ، والجمع أغنياء<sup>(١)</sup> .

أما في القرآن الكريم فقد وردت كلمة الغنى ومشتقاتها (٧٣) مرة من ذلك ما قاله الله تعالى :

﴿ لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ [آل عمران : ١٠] .

وقوله : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

[الدخان : ٤١] .

وقوله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾

[التوبة : ٢٨] .

وقوله : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْمَانٌ ۚ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْنَى ﴾ [العلق : ٧] .

---

(١) القاموس المحيط : ١٧٠٠ ، ط ٣/ الرسالة .

وقوله : ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾  
[فاطر : ١٥] .

وقوله : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾  
[آل عمران : ١٨١] .

وقوله : ﴿... كُنْ لَا يَكُونُ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر : ٧] .

وكذلك جاءت الأحاديث الشريفة ، تشرح موضوع الغنى ضمن مناسبات عديدة ، من ذلك قول المصطفى صلوات الله عليه :

«نعم العون على تقوى الله الغنى»<sup>(١)</sup> .

وقوله : «ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس»<sup>(٢)</sup> .

وقوله : «ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى»<sup>(٣)</sup> .

وقوله : «لا يعجبك رحب الذراعين يسفك الدماء فإن له عند الله قاتلاً لا يموت ، ولا يعجبك امرؤٌ كسب مالاً من حرام ، فإنه إن أنفقه وتصدق به لم يُقبل منه وإن تركه لم تبارك له فيه ، وإن بقي منه شيء كان زاده إلى النار»<sup>(٤)</sup> .

أما نهج البلاغة فقد تحدث فيه الإمام علي عن الغنى في (٧٥) موضعاً من ذلك قوله - كرم الله وجهه - :

«إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق» [قصار الحكم ٣٨-١]

(١) رواه الديلمي .

(٢) رواه أبو يعلى .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو داود .

وقوله : «الدنيا من استغنى فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن» [الخطبة

[١-٨٢

وقوله : «عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى

الذي إياه طلب» [قصار الحكم ١-١٢٦]

وقوله : «الغنى الأكبر اليأس عما في أيدي الناس» [قصار الحكم ٣٤٢]

وقوله : «لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين العافية والغنى» [قصار الحكم

[٤٢٦

وقوله : «ومن أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه» [قصار الحكم

[٢-٢٢٨

\* \* \*

## الفصل الرابع

### ماذا يعني الرزق

الرزق :

قال الفيروزآبادي : الرُّزُق بالكسر : ما يُنتفع به ، كالمرتزق والمطر ، ج : أرزاق ، وبالفتح : المصدر الحقيقي ، والمرّة الواحدة : بهاء ، ج : رزقات وهي أطماع الجند ، ورزقة الله : أوصل إليه رزقاً ، كما في قوله تعالى في سورة الواقعة ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾<sup>(١)</sup> [الواقعة : ٨٢] .

أما القرآن الكريم فقد أورد موضوع الرزق في (١٢٣) مرة ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل : ٧٣] .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ [الحج : ٥٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرِزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ [الملك : ٢١] .

---

(١) القاموس المحيط : ١١٤٤ ، ط ٣ / الرسالة .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَمَنْ يَرْزُقُهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾  
[النمل : ٦٤] .

أما رسول الله ﷺ فقد تحدث في مواضع كثيرة عن الرزق ، من ذلك قوله صلوات الله عليه :

«إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله»<sup>(١)</sup> .

وقوله أيضاً : «إن العبد له رزقه فلو اجتمع عليه الثقلان ، الجن والإنس ، أن يصدروا عنه شيئاً من ذلك ما استطاعوا»<sup>(٢)</sup> .

وقوله أيضاً : «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسدّ فاقته ، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله ، فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل»<sup>(٣)</sup> .

وهكذا لو تصفحنا نهج البلاغة لوجدنا الإمام علي - كرم الله وجهه - يحدثنا عن الرزق في مواضع كثيرة تبلغ (٥٣) مرة ، من ذلك قوله : «ما لابن آدم والفخر ، أوله نطفه وآخره جيفة ، ولا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه!!» [قصار الحكم ٤٥٤]

وقوله : «فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك» [الكتاب ٣١-٤٢]

وقوله موصياً أحد أولاده : «واعلم يا بني أن الرزق رزقان : رزق تطلبه ، ورزق يطلبك» [الكتاب ٣١-١٠٦] .

وقوله : «انظروا إلى النملة كيف دبّت على أرضها ، وصبّت على رزقها ، تجمع في حرّها لبردها ، وفي وردها لصدرها مكفول برزقها» [الخطبة ١٨٥-١٢ و ١١] .

(١) رواه البزار ، والطبراني في الكبير .

(٢) رواه الطبراني في الصغير .

(٣) رواه الترمذي .

وقوله في أحد أدعيته : «اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك  
ورحمتك» [الخطبة ١٤٣-١٠] .

وقوله : «ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته» [تصار الحكم  
١-٣٤٩] .

\* \* \*

## الفصل الخامس . ماذا يعني الميزان؟

الميزان :

قال الفيروزآبادي : «الوزن كالوعد : روز الثقل والخفة ، كالزنة ، وزنة<sup>١</sup> يزنة وزناً وزنة ، والمثقال ج : أوزان .  
والميزان : م ، العدل ، والمقدار ، ووازنه : عادله وقابله وحاذاه»<sup>(١)</sup> .

وقد وردت في كتاب الله تعالى (٢٣) مرة ، من ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الإسراء : ٣٥] .

وقوله : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

[الأعراف : ٨٥] .

وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ [الشورى : ١٧] .

وقوله : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ [الأعراف : ٩] .

وقد وردت الكلمة في الأحاديث الشريفة ، من ذلك قول المصطفى عليه الصلاة والسلام لأهل الكيل والميزان : «إنكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الأمم السالفة قبلكم»<sup>(٢)</sup> .

(١) القاموس المحيط : ١٥٩٧ .

(٢) رواه الترمذي .

وفي هذا الصدد يقول د . محمد سعيد رمضان البوطي : قد يخيل إلى القارئ أن ميزان الإسلام للأفكار الحديثة ، إنما يتمثل في : (قال الله ، وقال رسول الله) ذاتها ، في ميزان آخر أسبق منه ، لا شأن له بأي نحلة أو مذهب .

إذن ، فالإسلام إنما يعتمد لقبول أي فكرة أو رفضها ، ميزاناً حيادياً ، يركز على نقطة حيادية ، تسبق في البعد الزمني والاعتباري أي مذهب أو عقيدة أو سلوك ، فما هو هذا الميزان ؟

إنه العلم بمعناه المطلق الذي يعرفونه بقولهم : هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع بدليل ، وهذا العلم لا يكون علماً بهذا المعنى الذي يعرفونه به ، إلا إذا جاء خالياً من الشوائب ، صافياً من أخلاط أسبقية أية رغبة أو عصبية أو هوى ، لا يعتمد على نبراس العقل والمنطق الخالصين من شوائب الأغيار أياً كانت .

ولكن ما الدليل على أن هذا الميزان هو مُعتمد الإسلام ، وأنه يأبى على الناس أن ينساقوا حتى لاتباع عقائد الإسلام ذاتها ، إلا بعد أن توضع في هذا الميزان ، وتنال حكمه لها بالقبول والتأييد ؟

الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

فأنت ترى أن هذا النص القرآني - وهو ينبوع الإسلام ومصدره - يحذّر الإنسان من أن يتبع في اعتقاده أو سلوكه ما لا علم له بحقيقته ، ولا بينة له على صدقة ، و (ما) هذه أداة من أدوات العموم ، كما هو معروف ، فقد شملت إذن ، كل ما قد يُدعى إليه الإنسان ، من الأفكار والمعتقدات ، أو يجده أمامه من مناهج الحياة والسلوك ، بما في ذلك الإسلام نفسه . إذ هو واحد من المعتقدات والتصورات التي يُدعى إليها الإنسان !

فالقرآن يقرر بوضوح أن على الإنسان أن لا يخضع ذاته لأي تبعية فكرية

أو اعتقادية أياً كانت ، إلا بعد أن يتأكد من توقيع الحقيقة العلمية عليها ،  
وبعد أن يتأمل فيتأكد أنه ليس توقيعاً مزيفاً ملصقاً بها ، وانطلاقاً من هذا  
الحكم فهو يرفض من الإنسان حتى اعتناق الإسلام نفسه ، إلا إذا أقيم على  
أساس متين من هذه البيئة العلمية الحرة<sup>(١)</sup> .

\* \* \*

---

(١) بتصرف من الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية : ٧٩-٨٠ .

## الفصل السادس

### ماهي أنواع السلع والخدمات؟

أنواع السلع والخدمات :

كثير الحديث عن ذلك ، وكثرت التقسيمات لها أيضاً ، لكن أقر بها إلى الحقيقة هو :

- ١- الضروريات : وهي التي لا بدّ منها لصالح الناس ، وهي خمس :
    - أ - حفظ الدين : بناء العقيدة ، وحسن العبادة ، والأمر بالمعروف ، والجهاد في سبيل الله تعالى .
    - ب - حفظ النفس : وذلك بتوفير المأكل والمشرب واللباس ، ومنع الرهبانية والانتحار ، وتحريم القتل ، ليكون الجسم قوياً قادراً على العمل والانتاج والعبادة .
    - ج - حفظ العقل : بالتفكير وتحريره من الأوهام والخرافات وتحريم الخمر وما في حكمها كالحشيشة والأفيون .
    - د - حفظ النسل : بالزواج والمحافظة على الصحة والاستفادة من الطاقة وتحريم إهدارها .
    - هـ - حفظ المال : بإباحة الملكية عن الطريق المشروع وصيانته باستغلاله وتحريم الاعتداء عليه وضمان متلفاته .
- والأدلة على ذلك كثيرة أكتفي بما سجله ابن حزم - رحمه الله - بقوله :

وإذا لم تكف الزكوات ، فيعطى لكل فقير قوت سنة ولباساً للصيف ، ولباساً للشتاء ، ومسكناً يقيه الحرّ والقرّ وعيون المارة!!

لكن كل ذلك ضمن مكابح تكبح الإنسان أن ينزلق إلى المغالاة في الضروريات بالذات ، وقتها يتحول إلى حشرة قارضةٍ تلتهم الأخضر واليابس ، وعندها ترتفع لافتة مكتوب فيها :

﴿ تُمْرَلْتُسْتَلْنُ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر : ٨] .

٢- وسائل الراحة : وهي كل السلع والخدمات التي لا تدخل تحت بند الضروريات ، وهي تؤدي إلى ارتفاع مستوى المعيشة ، وتؤدي إلى الاستخدام الأمثل لأوقات الفراغ ، ذلك - كما يقول العلماء - أن الجسم والعقل والروح ، إذا استمرت في العمل فذلك يؤدي إلى إلتعابها ومن ثم مللها وعدم إنتاجيتها .

٣- الكماليات : وهي كل السلع والخدمات التي تضيف على الحياة رونقاً جديداً وجمالاً أخاذاً وتزيد من سعادة الفرد ، ويكون ذلك من إبراز جمال الطبيعة ، والسماع إلى الأصوات الشجيّة ، وفي تأمل حركة الأمواج في البحار ، والسّير ليلاً ومراقبة الأفلاك والمجرات ، ثم متابعة أصوات الطيور وتغريدها .

والشيء الرائع في ترتيب الإسلام منذ قرون عدّة ، أنه وضع سلّم أولويات لهذه السلع والخدمات بحيث الضروريات أولاً ثم وسائل الراحة ثم الكماليات وحين يصل مجتمع ما إلى تطبيق هذه السلّم ، وحين ينضبط بضوابط مبنوثة في كتب الأحاديث والفقهاء الإسلامي ، بحيث يعلم تماماً أن من أهم الخصائص للشريعة الإسلامية هي الوسطية ، وتعني الوسطية هنا العدل في الاستهلاك أي ترشيد الاستهلاك ، تلك حقيقة نقرأها في كتاب الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

إنها الموازنة بين الإسراف والتقتير ، والجود والشح ، وذلك ضمن  
النظر إلى تحقيق مصلحة الفرد وتحقيق مصلحة المجتمع ، وصدق  
رسول الله ﷺ حين قال :

«الاقتصاد نصف المعيشة»<sup>(١)</sup> .

وفي قوله : «الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة»<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير .  
(٢) رواه الطبراني في باب مكارم الأخلاق .